

تجارة الخيول في شبه الجزيرة العربية

أستاذ التاريخ الحديث - قسم التاريخ - كلية التربية
جامعة الزعيم الأزهري

باحث - الامارات العربية المتحدة

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

أ. سعود عبد العزيز عبد الله النجار

مستخلص:

تناولت هذه الدراسة تجارة الخيول في شبه الجزيرة العربية وهي واحدة من أنواع التجارة التي اشتهرت في المنطقة منذ قديم الزمان، وقد ارتبطت هذه التجارة بحركة كبيرة من التبادل التجاري بين مختلف من الموانئ مثل الهند والصين، ومناطق شرق أفريقيا وأوروبا، وقد كانت الخيول العربية محل احتفاء وتقدير من الملوك والحكام في مناطق مختلفة من العالم، كما أهتم التجار بتوفير هذه السلع للأسواق العالمية عبر السفن والطرق البرية، تتبع أهمية الدراسة من كونها تعمل على تسليط الضوء على موضوع الخيول في شبه الجزيرة العربية وحركة التجارة الكبيرة التي ارتبطت بالخيول والقبائل والمجموعات الذين عملوا على الاشراف على هذه التجارة، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي منها: تعد الجزيرة العربية الموطن الأول للخيول الأصيلة في العالم، برعت عدد من القبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام في تجارة الخيول، أسهمت تجارة الخيول في انعاش الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية.

الكلمات المفتاحية: تجارة الخيول، السفن، الخيول العربية، شبه الجزيرة العربية، الأحساء.

Horse trade in the Arabian Peninsula

Prof. Hatim ELsiddig Mohamed

A. Saud Abdulaziz Al- Najjar

Abstract:

This study dealt with the horse trade in the Arabian Peninsula, which is one of the types of trade that has been famous in the region since ancient times. This trade has been linked to a large movement of commercial exchange between various ports such as India, China, and the regions of East Africa and Europe. Arabian horses have been a subject of celebration. And appreciation from kings And rulers in different regions of the world, and merchants were also interested in providing these goods to global markets via ships and land routes. The importance of the study stems from the fact that it works to shed light on the issue of horses in the Arabian Peninsula and the large trade movement that was associated with horses and the tribes and groups who worked to supervise these Trade. The study followed the historical, descriptive,

and analytical approach in order to reach results that include: The Arabian Peninsula is the first home of purebred horses in the world. A number of tribes in the Arabian Peninsula, Iraq, and the Levant excelled in the horse trade. Horse trade contributed to the prosperity of trade routes in the Arabian Peninsula.

Keywords: horse trade, ships, Arabian horses, the Arabian Peninsula, Al-Ahsa.

مقدمة:

تجارة الخيول من أنواع التجارة التي اشتهرت في الجزيرة العربية مع غيرها من أنواع التجارة الأخرى، حيث ارتبطت هذه التجارة بعوامل وأسباب مهمة مثل، السفن التجارية التي كانت تقوم بنقل العديد من السلع من شبه الجزيرة العربية وبلاد العراق والشام إلى الأسواق الإقليمية والدولية مثل الهند، وإيران، والصين، وشرق إفريقيا، ومصر، وأوروبا، وقد اشتهرت الخيول العربية بجودتها وقوتها الامر الذي زاد من رغبة التجار للحصول عليها وذلك بغرض بيعها في تلك الأسواق ونتيجة لانتعاش هذه التجارة ظهرت العديد من الموانئ التي ارتبطت بتجارة الخيول في شرق وغرب الجزيرة العربية والخليج العربي مثل موانئ الأحساء، والقطيف، البصرة، والكويت، وصحار، وخورفكان، وينبع، وغيرها من الموانئ، ومن أشهر السفن التي كانت تحمل الخيول إلى شرق آسيا سفن الداو، والبثيل، والجالبوت، و البغلة والبوم السفار وغيرها من السفن الكبيرة، كانت هناك طرق برية في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي ربطت موانئ الخليج العربي والبحر الأحمر وأسهمت هذه الطرق في تصدير الخيول لموانئ العالم المختلفة، ومن أشهر الطرق التجارية البرية الطريق الذي يربط الأحساء بوادي الدواسر بظفار التي تعتبر أكبر منفذ للخيول في شبه الجزيرة العربية، وهناك أيضا طريق آخر يربط الأحساء بوادي الدواسر، عسير ثم منطقة نجران، يتضح أن هذه الطرق والقابلات التي تقطن فيها أسهمت بصورة كبيرة في انتظام حركة تجارة الخيول لفترات طويلة.

الخيول في شبه الجزيرة العربية:

تعد شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام الموطن الأول للخيول العربية الأصيلة في العالم ومنها انتقلت بعد ذلك مجموعات الخيول إلى مناطق مختلفة على امتداد المعمورة، وقد أسهمت الجيوش الإسلامية في انتقال الخيول العربية إلى خارج شبه الجزيرة العربية، ثم بعد ذلك حضرت مجموعات من المستشرقين الذين عملوا على نقل الخيول العربية إلى مناطقهم، وفي عهد الدولة العثمانية وصلت الخيول العربية إلى مناطق مختلفة على امتداد الامبراطورية العثمانية، كما أسهم التجار في تصدير الخيول العربية للعديد من الأسواق في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وبحلول القرن السابع عشر الميلادي وصلت مجموعات من أوروبا باحثه عن الخيول العربية الأصيلة بغرض شرائها للملوك والحكام هناك، وقد استهدفوا مناطق نجد والحجاز وغيرها من المناطق، ولقد اهتم ملوك بولندا بالخيول العربية بغرض تطوير بعض السلالات لديهم ومن الأسباب التي شجعت الملوك الأوروبيين على تربية الخيول العربية:

- قوة الخيول العربية وقدرتها على التحمل في المعارك.

- الخصال الحميدة للخيول العربية.

- جمالها الجذاب.

- تعددت استخداماتها.

لكل هذه الأسباب ولغيرها اتجهت أوروبا لاستجلاب الخيول العربية⁽¹⁾.

شكلت مدينة مومباي في الهند أهم مركز لتجارة الخيول العربية ، ومنها يتم نقل الخيول الجيدة إلى بنغال حيث يباع الواحد منها بـ 1800 روبية ، وبعد الاحتلال البريطاني للهند انتعشت مدينة مومباي بصورة كبيرة وأصبحت من أهم المراكز التجارية هناك ، وأصبح البريطانيون المشترون الجدد للخيول عبر وكلائهم في المدن والحواضر العربية في شبه الجزيرة العربية والتي اشتهرت بجودة خيولها وأصالتها ، وأصبح سوق (بائي كولا) في مومباي من أهم الأسواق لتجارة الخيول، وفي نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وعندما ضعفت حركة استيراد الخيول العربية من قبل بعض التجار الهنود إلى الهند تدخلت الحكومة البريطانية وعملت على استيرادها للاستفادة منها في الهند⁽²⁾. وقد استخدمت الحكومة البريطانية في الهند الخيول العربية في عدد من الاستخدامات والتي منها:

- تلبية احتياجات القوات البريطانية في الهند.

- تنشيط سلالة الخيول الضعيفة من خلال تهجينها بالخيول العربية.

- استخدامها في جر عربات الترام في مدن كلكتا، وبومباي، وبونا، ومدراس، وغيرها من المدن.

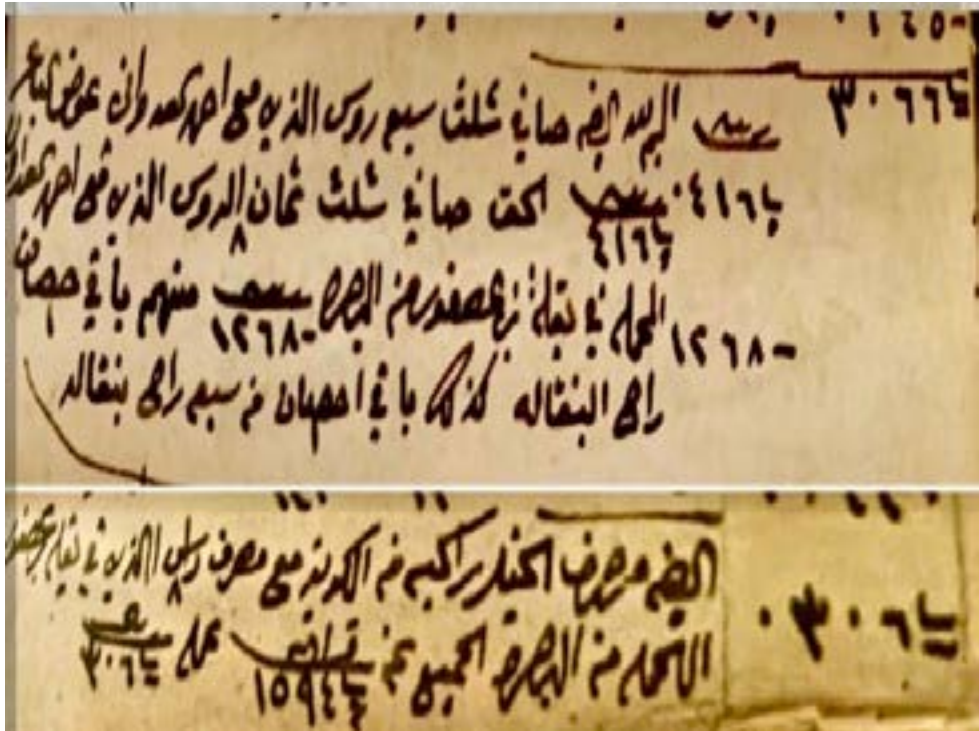
وللمزيد من الاهتمام والرعاية بالخيول العربية الأصيلة انشأت شركة الهند الشرقية مزرعة لتربية الخيول العربية (بوسا) بولاية بيهار الهندية في العام 1793م، ولكن لم تستمر هذه المزرعة كثيراً وتم اغلاقها، وأيضاً وجدت الخيول العربية اهتماماً كبيراً عند (المهارجا) الملوك الهندوس ووجهاء أهل الهند، وقد تدهورت تجارة الخيول العربية في الهند نتيجة لدخول أنواع جديدة من الخيول وهي الخيول الأسترالية⁽³⁾. وقد لعبت السفن بأنواعها المختلفة أدواراً مهمة في نقل الخيول من شبه الجزيرة العربية إلى الأسواق المختلفة، وذلك نسبة للإقبال الكبير على تجارة الخيول والعمل على الحصول عليها من قبل المهتمين في أنحاء متفرقة من العالم، وقد عرّف الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية منذ وقت مبكر الخيول وتربيتها والركوب عليها، ويقال: إن سيدنا إسماعيل عليه السلام أول من ركب الخيل، وقد وردت مكانتها في القرآن الكريم وأنّ الله سبحانه وتعالى أقسم بها في محكم تنزيله حين قال: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا)⁽⁴⁾. وتعد الخيول العربية من أقدم الخيول الأصيلة في العالم، ويمكن القول إن جميع خيول العالم التي تمتاز بالقوة والسرعة تدين للخيول العربية بالفضل لأنها نقلت إليها هذه الصفات جيل بعد جيل، والخيول العربية تميزت بالسرعة الفائقة في العدو وقوة التحمل والصبر كما تميزت أيضاً بجمال منظرها وتنسيق أعضائها، وقد فطن مربي الخيول في العالم منذ قديم الزمان إلى الخيول العربية وعملوا على استجلابها ودفعوا فيها مبالغ كبيرة بغرض الحصول عليها⁽⁵⁾. وهناك رأي يقول بأن الخيول الإنجليزية والروسية المعروفة باسم (اورلف تروتر) أصولها عربية من شبه الجزيرة العربية، وهي من أهم الأماكن لتربية الخيول العربية الأصيلة، المجربة في خوض المعارك، وتعد خيول نبيلة تتميز بعدد من الصفات منها:

- مقدرتها على الكرّ والفرّ.

- خفة الأطراف.

- سليمة البدن⁽⁶⁾. وكانت الخيول في الجاهلية في شبه الجزيرة العربية خيول أصيلة عربية عتيقة،

والعتيق من الخيل هو الذي أبواه عربيان. وسمي عتيقاً لسلامته من العيوب والطعن في نسبه⁽⁷⁾. وقد كانت تربية وتجارة الخيول العربية الأصيلة، من أهم الأنشطة التجارية في شبه الجزيرة العربية عبر العصور، وقد تم استخدام الخيول في العديد من الأغراض في مختلف الحضارات الإنسانية، وفي شبه الجزيرة العربية تم استخدام الخيول في الركوب، والحروب، والسباقات، وقد وجدت الخيول العربية شهرة كبيرة على مستوى العالم وذلك لأصالتها وجودتها وقدرتها على التحمل والسرعة. وعرفت الجزيرة العربية عبر تاريخها الطويل العديد من الأسواق التجارية للخيول، التي يتم فيها بيع وشراء الخيول المختلفة، ومن أمثلة هذه الأسواق التجارية: البصرة، والكويت، وغيرها من الأسواق. وبالإضافة لهذه الأسواق كانت هناك موانئ رئيسة يتم عبرها تصدير الخيول العربية إلى الأسواق المختلفة في شرق آسيا وإفريقيا وأوروبا مثل موانئ: الأحساء، والقطيف، وخورفكان، وصحاروجلفار. وقد عملت الكويت على تصدير الخيول إلى مناطق شرق آسيا عموماً والهند والبنغال على وجه الخصوص وذلك منذ القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد تم تحميل العديد من الخيول من الكويت إلى ميناء البنغالية في خليج البنغال، وتعد هذه الخيول من أفضل أنواع الخيول حيث يتم احضارها من شمال شرق الجزيرة العربية، وقد تم تحميل هذه الخيول على سفينة كبيرة من نوع البغلة⁽⁸⁾.



وثيقة تبين تجارة الخيول والابل والماشية في الكويت في القرن التاسع عشر، من دفتر حسابات خالد الخضير (1867-1878م)



فرس يحاول بعض الأشخاص إدخاله إلى السفينة

وقد لعب موقع الأحساء المميز على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية دوراً مهماً في حركة التجارة في منطقة شبه الجزيرة العربية، ويعد الإقليم البوابة الرئيسة للتجارة، وملتقى للطرق التجارية والقوافل القادمة من العراق ونجد وعمان ومناطق جنوب شبه الجزيرة العربية، ويعد الإقليم بسواحله وموانيه امتداداً طبيعياً مهماً لإقليم نجد وهو المنفذ الوحيد له، ويعتمد سكان نجد في حركة الصادر والوارد إليهم على ميناء العقير⁽⁹⁾ الذي يقع شرق الأحساء⁽¹⁰⁾. وفي عهد السلطنة الجبرية (932-820هـ/-1417م) التي تمكنت من بسط سيطرتها على مناطق الأحساء والقطيف ونجد وشرق الجزيرة العربية ومنطقة البحرين، كان للنشاط التجاري دور فاعل في تقوية مركز الدولة التي تمكنت من خلال السيطرة على الطرق التجارية البرية في شبه الجزيرة العربية، وبرزت مجموعة البني عامر كمجموعة تجارية في عهد زامل الجبري حيث عملوا في تجارة الخيول والجمال، وقد أسهمت الحروب في المنطقة في زيادة الطلب على الخيول والجمال بصورة كبيرة، وذلك بغرض المشاركة بها في هذه الحروب⁽¹¹⁾. وصلت الخيول العربية إلى مناطق مختلفة من المشرق منذ قديم الزمان كما أنها وصلت أولى الخيول إلى مصر في حوالي عام 1800 ق.م⁽¹²⁾، وتأتي تجارة الخيول في المرتبة الثانية بعد تجارة التوابل في حركة الصادر والوارد، وتعد شبه الجزيرة العربية المصدر الرئيس للخيول. وبعد أن بسط البرتغاليون سيطرتهم على منطقة البحرين أثر هذا الأمر بصورة كبيرة على السلطنات والمشايخات العربية التي كانت تعتمد على هذه التجارة المربحة كمصدر للدخل لديها⁽¹³⁾.



خيول على ظهر سفينة مبحرة نحو الهند

كما كانت تجارة الخيول والتوابل واللؤلؤ والتمور، من المهن التي ارتبطت بصناعة السفن وبحركة الموانئ البحرية في الخليج العربي، وقد شهدت تجارة الخيول ازدهاراً ملحوظاً منذ القرن التاسع عشر، ويمكن القول إن هذه المهنة ارتبطت بحركة التجارة مع موانئ الهند وشرق إفريقيا وحتى أوروبا، لأن حاجة تلك المناطق للخيول لم تتوقف حتى وقتنا الحاضر، بحيث تعددت استخدامات الخيول من المشاركة في الحروب وسباقات الخيول التي أصبح لها رواد على مستوى العالم. ومن التجار الذين اشتهروا في مجال تجارة اللؤلؤ والخيول بين الخليج العربي والأسواق الهندية شيخ الإسلام جمال الدين بن إبراهيم بن محمد الطيبي، الذي يعد من أكبر التجار في القرن الثالث عشر الميلادي خلال فترة الحكم المغولي. ولد الطيبي في جزيرة قيس في 662هـ/ 1269م، وقد وصل مرحلة احتكار الخيول واللؤلؤ القادم من الخليج العربي إلى الهند وخرسان وبلاد الروم، كما امتد نفوذه إلى الموانئ التي تجلب إليها البضائع الصينية، وقد تدرج في هذا المجال حتى تمكن من امتلاك أسطول من السفن التجارية، ولكي يضمن سلامة أسطوله البحري وسرعة معاملاته التجارية عمل على استئجار بعض الجزر، وقد وصل الطيبي لمكانة كبيرة وسط سكان الهند، ومما أسهم في زيادة نفوذه التجاري في المنطقة اعتلاء أخيه منصب الوزارة لدى أمير منطقة الهند الجنوبية (14)، ولقب بـ «مرزبان الهند»⁽¹⁵⁾

في العام 692هـ/ 1293م، الأمر الذي مكنه من التحكم في التجارة البحرية بين الهند والشرق الأقصى⁽¹⁶⁾. تمكن الطيبي ومن خلال عمله في تجارة الخيول أن يقوم بتصدير 1400 حصاناً سنوياً من إسطنبول الخاص إلى الهند، ووصل عدد سفنه أكثر من مائة سفينة، وسيطر على العديد من الجزر كما اشرنا سابقاً نظير دفع ضرائب للخرزينة المغولية، والتي كانت تعاني من المصاعب المالية في ذلك الوقت، ونتيجة لكل ذلك أصبح الطيبي من أشهر تجار المنطقة وحصل على العديد من الامتيازات، وقد أسهم الطيبي في توطيد العلاقات الثقافية والحضارية والتجارية بين الهند والخليج العربي، وما يدل على ذلك إرثه الذي تركه حتى الآن، والذي يقف شاهداً على مجد رجل عمل على تمتين التواصل بين الهند والخليج العربي (17).



لوحة توضح شكل التجارة وحركة السفن في إحدى الموانئ التجارية في الشرق وعندما حاصر البرتغاليون بقيادة (البوكريك) مدينة مسقط في العام 1507م، قام الجبور بإرسال قوة عسكرية لنجدة المدينة، كما قام بإرسال قوة أخرى لنجدة صحار التي كانت لها أهمية كبيرة في تجارة الخيول⁽¹⁸⁾.



أحد الخيول العربية الأصيلة

عرفت بلاد فارس الخيول العربية منذ وقت مبكر، وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين زاد استخدام الخيول العربية في إيران، وقد تميزت بالقوة والسرعة وأعلى أنواع الخيول العربية ما يعرف بـ (السلوقي)،

وهي من أنواع الخيول المعروفة، وقد تميزت هذه الخيول بطول القامة، وسهولة القيادة وسرعتها الكبيرة، والخيول العتيقة تميزت كذلك بقوتها وأرجلها الكبيرة وعظامها القوية، وقد كان يتم إطعامها التمر واللبن، ومما يدل على اهتمام أهل إيران بالخيول، أنهم قد عملوا على تخصيص سوق محدد لها في مدينة (هرات) ⁽¹⁹⁾. لم تكن الأسواق الإيرانية بعيدة عن الخيول العربية الأصيلة، فقد أتاح القرب الجغرافي والتواصل الحضاري بين جانبي الخليج العربي شرقه وغربه منذ قديم الزمان، انتقال الخيول العربية الأصيلة إلى الجانب الشرقي من الخليج العربي، كما أن بلاد فارس معروفة لدى القبائل العربية التي استوطنت البر الغربي من الخليج، وعُرفت بمجموعات عرب الساحل، كما أن الإيرانيين كانوا شديدي الاهتمام بالخيول بأنواعها المختلفة لذلك وجدت الخيول العربية مكانتها هناك؛ كما زادت أسعارها بصورة كبيرة حيث وصل سعر الواحد منها إلى 4000 دينار فارسي، الأمر الذي يدل على مكانة الخيول العربية في بلاد فارس ومدى الإقبال عليها. عُرفت مدينة خور فكان كواحدة من المدن التي ازدهرت فيها تجارة الخيول حيث شكلت مع رصيفاتها من موانئ الخليج العربي مثل: الإحساء، والقطيف، وصحار، موانئ ومحطات لترحيل الخيول إلى مناطق مختلفة من العالم والتي من أهمها أسواق شرق آسيا. وقد اتخذ العرب سفن خاصة لحمل الخيول عُرفت باسم (الطرائد)، ويحمل في السفينة الواحدة ما يقارب الأربعين فرس، وانتقل اسم طرائد وهي سفن حمل الخيول للغات الأجنبية الأخرى، ولذلك نجد أسمها في الإسبانية Tarida ، وعند الإيطاليين Tartana، وعند الفرنسيين Tartan ⁽²⁰⁾ وتعددت أسماء السفن في اللغة العربية، الأمر الذي يدل على حبهم لها ولصناعتها التي انتشرت في معظم الموانئ العربية ⁽²¹⁾. وبالرغم من نفوق العديد من الخيول بسبب ما يعترض السفن التجارية التي تنقلها بين موانئ الخليج العربي والهند للعديد من المخاطر في عرض البحر كالأعاصير العاتية والقرصنة وغيرهما من المخاطر، إلا أن حركة الصادر من موانئ الخليج بالنسبة للخيول لم تتوقف ⁽²²⁾.



سفينة البغلة كان يتم شحن الخيول عليها بغرض إرسال للهند وغيرها من الموانئ.

يمكن ملاحظة أن مدينة خور فكان كانت ميناء مهم لتصدير الخيول للعديد من المناطق، وذلك لأن موقع الميناء والمدينة أسهما في أن تلعب دوراً مهماً في ذلك، كما أن العديد من الرحالة الذين زاروا المدينة في فترات تاريخية مختلفة، وكذلك المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الخيول في خور فكان، تشير إلى وجود عدد من التجار الهنود بالمدينة، وقد عملوا في تجارة الخيول وترحيلها إلى أسواق الهند وغيرها من الأسواق الأخرى والتي كانت تهتم بهذا النوع من التجارة. وقد ذكر الرحالة الروسي (بي ستنين) عضو الجمعية الجغرافية الأميركية في سان بطرسبرج الذي قدم وصفاً دقيقاً للجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ذكر أن قبائل مطير، وبني حميد، والظفير، وشمر، قد نجحوا في تربية الخيول (23). وتعد منطقة الأحساء من أهم مناطق تربية الخيول العربية الأصيلة في شبه الجزيرة العربية، وبالإضافة للخيول يوجد فيها: الأبقار والغنم والحمير⁽²⁴⁾.

مما سبق يمكن القول إن بني حميد ومنهم بطن بني حماد في شبه الجزيرة العربية قد نجحوا في تربية الخيول مع مجموعات قبائل أخرى مثل: مطير، والظفير، وشمر، وعملوا على بيعها بعد ذلك. شكلت الهند عبر تاريخها الطويل سوقاً رائجاً للخيول العربية، وقد لعبت السفن التجارية القادمة من الخليج العربي إلى تلك البلاد دوراً مهماً في تطور وازدهار العلاقة التجارية بين الخليج لعربي والهند، و تمت الإشارة لهذه العلاقة في العديد من المصادر الهندية في العصور الوسطى، وقد استخدمت الخيول العربية في الهند في العديد من الاستخدامات والتي منها:

- القتال: استخدمت الخيول العربية في الهند في حوض المعارك والقتال وذلك لما تميزت به هذه الخيول من قوة ومقدرة كبيرة على خوض المعارك.

- الأغراض الإدارية: تم استخدام الخيول العربية في الهند في الأمور الإدارية والتنقل بين المقاطعات المختلفة.

- النقل: أسهمت الخيول العربية في عملية النقل بمختلف أنواعها.

- الأغراض الشخصية: كانت الخيول العربية تستخدم للأغراض الشخصية مثل الرياضة والفروسية.⁽⁵²⁾

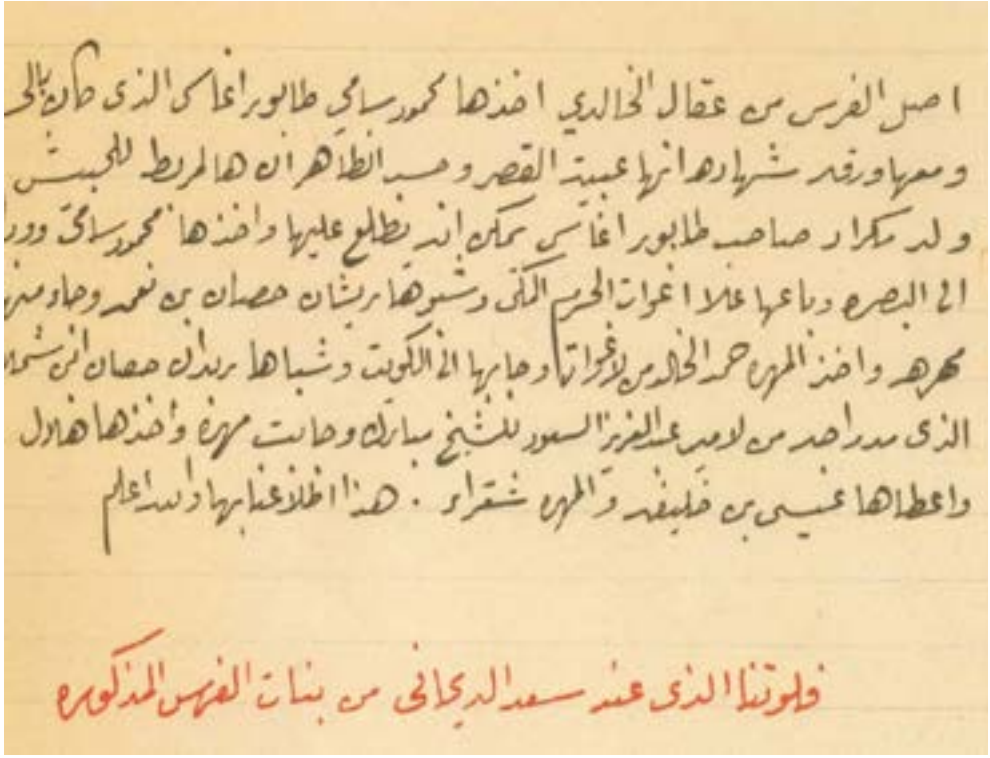
ومن المجموعات التي مارست تجارة الخيول في شبه الجزيرة العربية النجديون أهل نجد حيث كانوا يقومون بإحضار الخيول من نجد والعراق إلى الكويت ثم بعد ذلك يقومون بشحنها على السفن إلى الهند، وقد شكلت تجارة الخيول أحد أهم موارد الدخل لسكان الجزيرة العربية، وانتعشت في الفترة من القرن التاسع عشر الميلادي وحتى قيام الحرب العالمية الثانية حيث تم تصدير ما بين 400.000 إلى 800.000 فرس إلى الهند وكان سعرها يعادل ثلاث أضعاف الخيول الأخرى (26).

بالإضافة إلى النجديون وغيرهم من سكان الجزيرة العربية الذي عملوا في تجارة الخيول كان هناك بني حميد الذين عملوا في هذه المهنة منذ وقت مبكر وذلك لوجودهم على طول الطريق التجاري البري من عسير إلى محاضر جوا (ليوا) وانتشارهم في إقليم عمان الداخلي، وذلك من خلال تجارة الخيول ثم العمل على نقلها عبر سفنهم التي كانت تمرر البحر ناحية شرق أفريقيا وآسيا حتى الهند، وكذلك عملوا على الاهتمام بها من خلال انتقالها عبر مناطق تواجدها وحتى وصولها إلى موانئ التصدير المختلف في الخليج العربي وخليج عُمان.

لقد أدى الإقبال على الخيول العربية بصورة كثيفة من قبل التجار وصفوة القوم في الهند، وكذلك من قبل الملوك والأمراء والحكام في أوروبا إلى استنزاف هذا المورد وذلك نتيجة للإقبال العالي على هذه السلعة⁽²⁷⁾

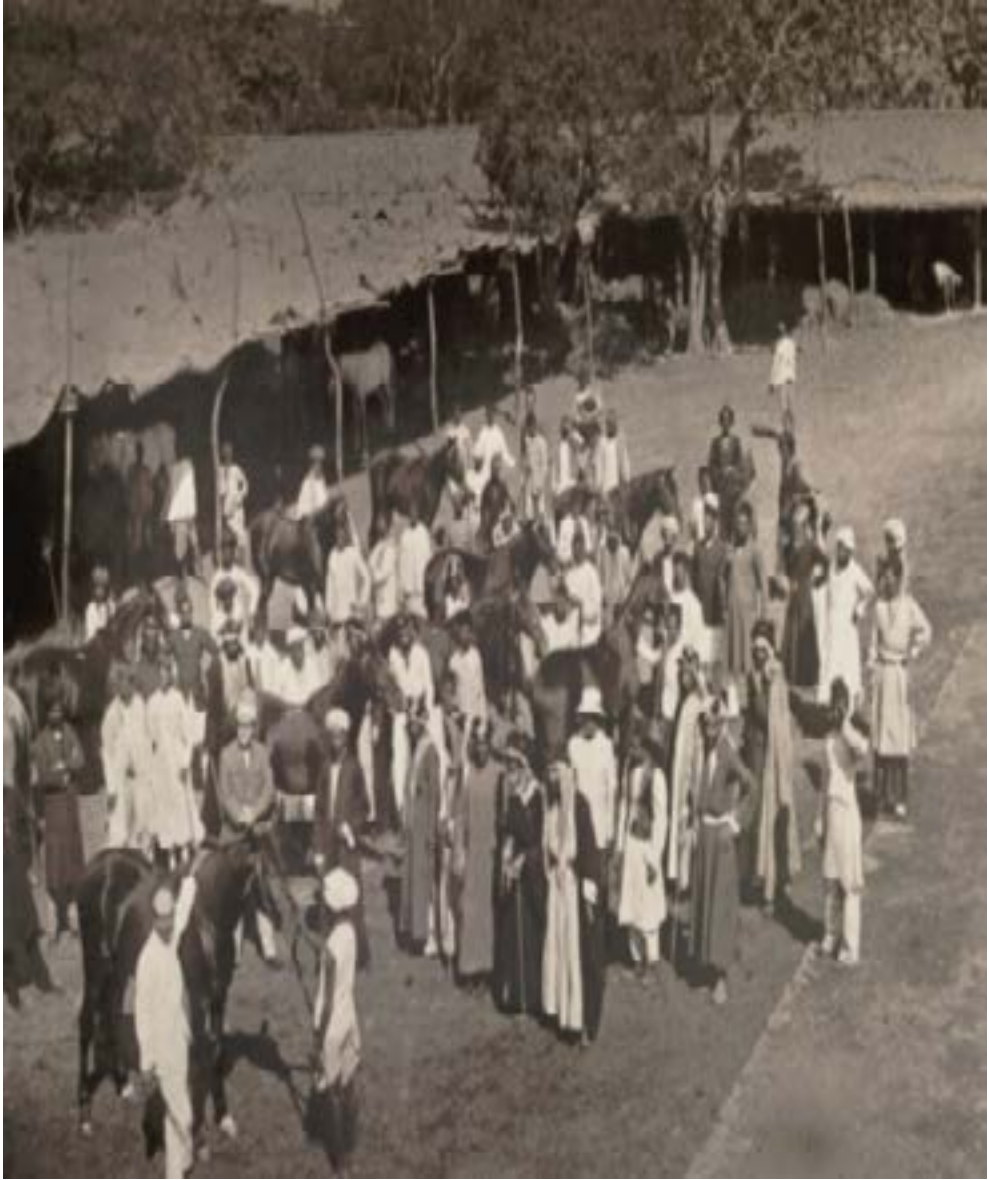


يوم سفار كان يستخدم لنقل الخيول



وثيقة تتحدث عن أصل أحد الخيول وكيف انتقلت من مالك إلى آخر حتى وصلت إلى عيسى بن خليفة - انظر مركز جمال بن حويرب، واثق من تاريخ الخيول العربية الأصيلة

استفادت الهند قديماً من الخيول العربية في العديد من المهام العسكرية والمدنية في فترة العصور الوسطى، وقد اعتمد ملوك الهند على التجار العرب في توفير هذه السلعة الاستراتيجية، وقد استفاد التجار العرب مادياً من هذا الأمر حيث تمكنوا من إحضار المزيد من الخيول العربية الأصيلة من شبه الجزيرة العربية عبر مياه الخليج العربي إلى مختلف مناطق شبه القارة الهندية، حتى وصلت خيولهم إلى مناطق (تشيتاغونغ) في منطقة البنغال. وقد شهد القرن التاسع عشر الميلادي قمة ازدهار تجارة الخيول العربية في الهند حيث استوردت الهند في تلك الفترة ما بين 400- 800 ألف فرس عربي، وكانت تباع بأسعار عالية جداً، ووصل الأمر أن يتم استبدال الفرس العربي الواحد بأربعة خيول من غير السلالة العربية⁽²⁸⁾. وبالإضافة للهند فقد كان في مصر العديد من الخيول العربية الأصلية التي أحضرها عباس⁽²⁹⁾ باشا الأول من الحجاز بعد الانتصارات التي حققها على الحركة الوهابية هناك، وقد تمكن من أخذ أجود الخيول وأحضرها إلى مصر⁽³⁰⁾، ويمكن القول إن مصر عرفت الخيول العربية منذ الفتح الإسلامي أو قبل ذلك بكثير، وزادت أعدادها في عهد السلطان محمد بن قلاوون في القرن الثالث عشر الميلادي، وقد استفادت مصر من الخيول العربية من خلال استجلابها من شبه الجزيرة العربية بصورة كبيرة وعملت على الاستفادة منها من خلال إنتاج سلالات عربية جديدة أو هجينة، كما أن مصر ولقربها من قارة أوروبا جعلها أن تكون مقصداً للعديد من المهتمين بالخيول.



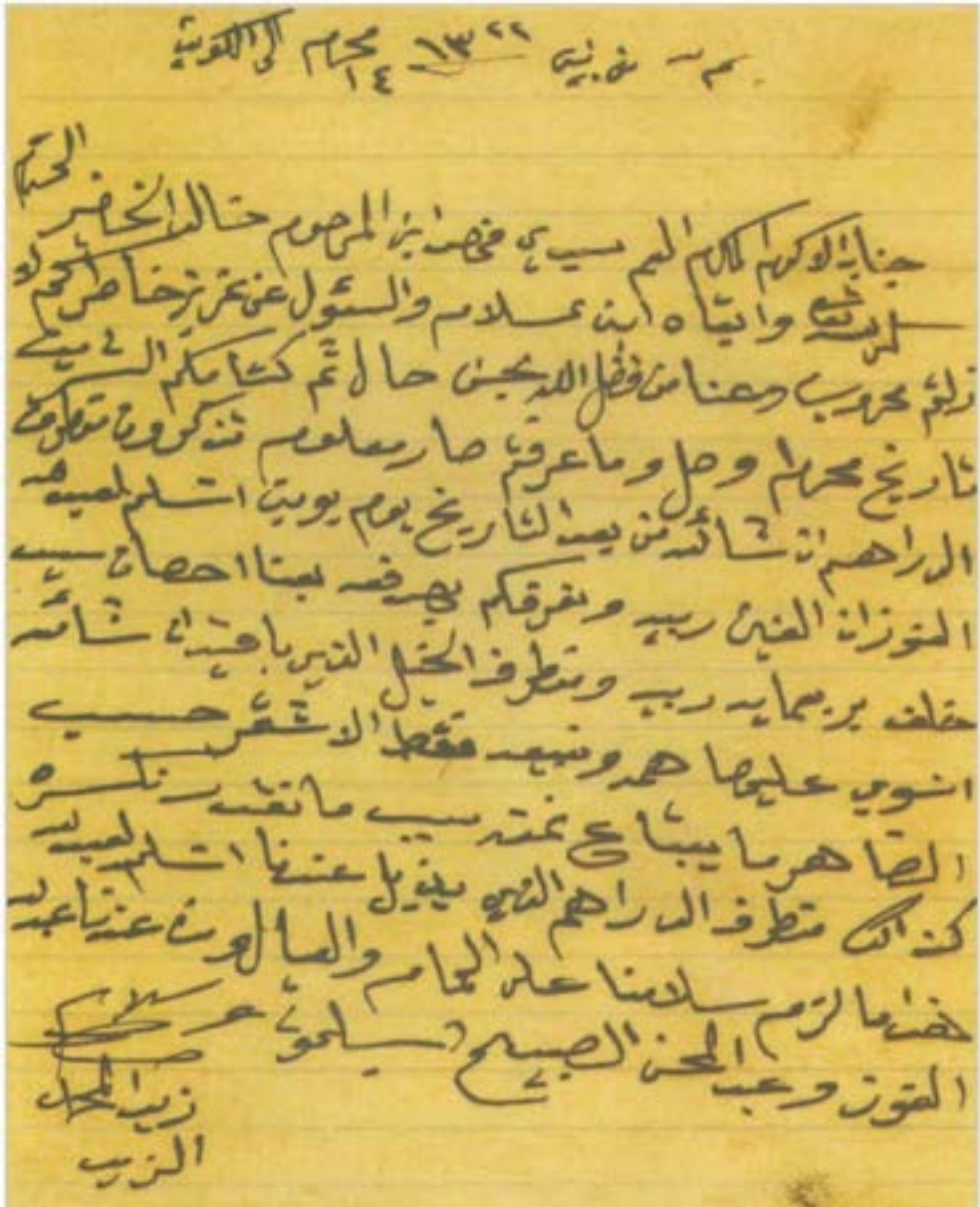
سوق بيع الخيول العربية في مومباي - الهند، المصدر: نجد الروقي

وبالإضافة لما سبق من تجار نجد إن من أشهر تجار الخيول العربية في الهند ويأتي في المرتبة الثانية بعد الطيبي هو التاجر «عبد الرحمن المنيع» من بلدة شقراء بنجد، والذي يرجع نسبه إلى آل منيع الذين يرجع نسبهم إلى قحطان من الحراقيص من بني حميد من بني زيد⁽³¹⁾. وقد كان للمنيع مكانة كبيرة في بومباي وسط التجار هناك، كما أنه كان يأتي لمنطقة الخليج العربي بغرض شراء أجود الخيول العربية وإرسالها للهند للمتاجرة فيها، أو تربيتها في إسطبلات خاصة هناك وإنتاج سلالات جيدة وجديدة منها أو الاشتراك بها

في سباقات الخيول التي كانت تُقام في الهند مثل: سباقات ولاية (بارودا)، وسباقات مصيف (بونا)، للحصول على جوائز تلك السباقات. وقد ذكر الزوجين الليدي "آن بلنت" Anne Blunt وزوجها «وليفر بلنت - Wil-frid Blunt» عندما تحدثا عن رحلتهم للهند بين عامي 1883-1884م، والتي قابلا فيها التاجر عبد الرحمن المنيع الذي ساعدهما في شراء أعرق الخيول العربية الأصلية، وقد باع لهما أفضل الخيول عنده وعمل على تزويدهم برسائل توصية وتزكية إلى معارفه في الرياض عندما علم بأن الزوجين يرغبان في الذهاب إلى هناك، وقد ذكر الزوجين أن المنيع تميز بالصدق والقيم النبيلة وأنه لم يحتكر تجارته لكي يحقق عبرها أرباح غير مقبولة. ولتشجيع التجار العرب في الهند على الاستمرار في مجال تجارة الخيول قامت الحكومة البريطانية بإنشاء لجنة دائمة لتجارة الخيول في ميناء كراتشي، وقامت أيضاً بإلغاء الضرائب لاستيراد الخيول إلى الهند؛ وهذا الإجراء من قبل الحكومة البريطانية في الهند يُعد مبادرة ذكية منها لاستقطاب أكبر عدد من التجار العرب من خلال قيام هذه اللجنة، وعملت على اقناع السلطات المحلية في الخليج العربي بعدم فرض ضرائب على تجارة الخيول، كما أن السلطات البريطانية في الهند عملت على تشجيع التجار العرب على استثمار أموالهم في تجارة الخيول في الهند⁽³²⁾.

مما سبق يتضح أن التاجر عبد الرحمن المنيع الذي أصبح من أهم التجار العرب في مجال الخيول في بمباي، قد أنصف بالعديد من الصفات والتي من أهمها الأمانة، والتي أهلته ليصبح من أهم تجار الخيول هناك، كما أنه لم تنقطع صلاته وعلاقاته بشبه الجزيرة العربية والتي حرص على استجلاب أفضل الخيول منها إلى الهند بغرض بيعها أو إنتاج سلالات جديدة منها للمشاركة بها في السباقات التي كانت تجري في الهند. وتتميز الخيول النجدية بأنها: طويلة الأعناق، صغيرة الرأس، جميلة القوام، قليلة لحم الوجه والخدين، دقيقة الآذان، عريضة الأكفال، رحبة البطون، غليظة الأفخاذ، وكذلك تتميز بالقوة والسرعة، وتلوح في وجهها علامات الجَدِّ. أما الخيول الحجازية فهي صلبة الحوافر، متينة الأرساغ (الرَّسْغ الموضع المُستَدَق بين الحافر والساق)، ذات أحداق حسناء، وسوداء اللون⁽³³⁾.

لقد كان مجموع ما صُدِّر من الخيول العربية من الكويت والبصرة إلى موانئ يومي ومدراس وكلكتا في العام 1816م كان 1500 حصان، وثمن الحصان 300 روبية، وتكلفة النقل 100 روبية ومصروفات علفه ورعايته حتى يصل إلى الهند 100 روبية، وقد منعت الدولة العثمانية بيع الخيول العربية وتصديرها إلى الخارج ولذلك لجأ البعض إلى دفع المزيد من الرشاوي لولاة البصرة وذلك بغرض غض الطرف عن عملية شحن الخيول على السفن البريطانية وإرسالها إلى الهند، وقد كان هناك اهتمام كبير من قبل القبائل العربية والتجار والمهتمين بالخيول بأنساب الخيل منذ القدم وهناك تشابك كبير بين أنساب الخيول بين الأحساء ومكة والبصرة والكويت⁽³⁴⁾.



وثيقة من السيد زيد المحمد الزيد في بومبي إلى السيد فهد خالد الخضير في الكويت بتاريخ 30 مارس 1904م يخبره فيها عن مبيعات الخيول - انظر مركز جمال بن حويرب، وثائق من تاريخ الخيول العربية الأصيلة

الخيول في مدينة خور فكان:

من المدن التي عُرفت بتجارة الخيول في منذ قديم الزمان مدينة خور فكان، وقد أشارت الوثائق البرتغالية في العديد من صفحاتها عن وجود إسطبلات كبيرة للخيول في المدينة الساحلية وذلك عندما تم

غزوها بواسطة البرتغاليين، الأمر الذي يدل على أن المدينة كانت نقطة مهمة لتجميع الخيول والإشراف عليها وتربيتها ثم تصديرها للأسواق الأخرى، مثل: الهند وإيران وغيرها من الأسواق التي كان يتعامل معها تجار الخيول عبر ميناء خور فكان، كما تجدر الإشارة إلى أمر آخر، وهو أن الخيول التي وجدت لها إسطبلات كبيرة في المدينة عمل الأهالي على الاستفادة منها، وهي خيول عربية أصيلة، والدليل على ذلك امتطاء أهل المدينة لهذه الخيول عند محاولتهم صد الهجوم البرتغالي بعد وصول السفن الحربية البرتغالية لشاطئ خورفكان. تم إنشاء حظائر واسعة للخيول في خور فكان ملحق بها مخازن كبيرة لتخزين التبن بغرض إعلاف الخيول التي تم تجميعها وإعدادها للتصدير وبالإضافة للحظائر التي يتم فيها تربية الخيول في خور فكان كانت هناك أعداد منها توجد في المناطق الجبلية التي تحيط بالمدينة ويتم احضارها والقيام ببيعها للتجار الذين يقومون بتحميلها على السفن لتباع في أسواق الهند أو غيرها من الأسواق (35). ومن المناطق التي عُرفت بتربية الخيول والتي تقع بالقرب من خور فكان وادي مدحا والمناطق الجبلية القريبة وقد كان هذا الوادي مصدراً مهماً من مصادر الخيول التي كانت ترد إلى خورفكان ليتم بيعها هناك.



حي الغوبانة من أشهر أحياء المدينة المرتبطة بالخيول كانت خورفكان واحدة من أهم الموانئ التجارية في الخليج، ومعبّر للطرق من عسير (الدواسر) مروراً بقلعة مسكلات في الظفرة التي يرجح بنائها في فترة حكم بني حميد للمنطقة وهي مفترق طرق تجارية قديمة منها إلى الإحساء والشام وأيضاً طريق جلفار ثم خورفكان. وقد ورد في صحيفة البيان الإلكترونية بتاريخ 18 يونيو 2008م إن منطقة الغوبانة التي تطل على خور مخيبي في خور فكان كانت مركزاً لتجارة الخيول التي تدار بواسطة التجار الهنود الذين استقروا بالمدينة، وقد تميزت بقربها من شاطئ خور فكان (36).

الخاتمة:

من خلال تتبع مسيرة الخيول في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي نجد أنها كانت تحتل مكانة كبيرة عند أهل هذه البلاد، كما أنها ارتبطت بالقبائل العربية المنتشرة في هذه البلاد وكانت جزءاً أصلاً من حياتها وتاريخها وحاضرها ومازالت، كما أن الخيول كانت ترمز عندهم للفروسية والعز والإقدام والحرب وشرف القبيلة والمدافع عنها مع فرسانها، وقد دخلت أيضاً في التجارة الداخلية والخارجية عبر العصور وكانت من أهم السلع التي يتم تبادلها من مناطق العالم المختلفة، وكانت تعد من أعظم الهدايا عندما تمنح من مشايخ القبائل لضيوفهم من عليّة القوم أو حكام البلاد والمناطق الأخرى، وقد ارتبطت الخيول العربية في الجزيرة العربية والخليج العربي بمناطق تواجد تاريخي وقديم حيث نجدها في مناطق الأحساء ووادي الداسر ومناطق العراق وغرب الجزيرة العربية، ونتيجة لتطور وازدهار تجارة الخيول انتعشت العديد من الموانئ في الخليج العربي وغرب الجزيرة العربية مثل القطيف، والبصرة، والكويت، وخور فكان، وصحار، وجدة، وينبع وغيرها من الموانئ التجارية.

النتائج:

- من أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة: -
- عرف الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية الخيول وقام بتربيتها منذ فجر التاريخ.
- تعد منطقة عسير (بلاد قحطان) هي موطن الخيول العربية الأصيلة والتي خرجت منها بعد ذلك إلى نجد والشام وغيرها من المناطق.
- احتلت الخيول مكانة كبيرة عند العرب وكانت مصدر فخرٍ وإعزازٍ لهم.
- اشتهرت العديد من القبائل العربية بتربية الخيول والتجارة فيها مثل قبائل بني حميد، وقبيلة مطير، وقبيلة شمر وغيرها من القبائل.

التوصيات:

- من التوصيات التي خرجت بها الدراسة: -
- إعداد المزيد من الدراسات عن تجارة الخيول العربية في كل من شبه الجزيرة العربية والهند.
- العمل على إعداد موسوعة الخيول العربية.
- الاستفادة من المخطوطات العربية والأجنبية في معرفة دور تجارة الخيول في تطور اقتصاد شبه الجزيرة العربية والخليج العربي.

الهوامش:

- (1) يسري الجوهرى، جغرافية دول الخليج العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2001م، ص 57.
- (2) محمد مرسى عبد الله، ج 1 إمارات الساحل و عمان والدولة السعودية الأولى، (1818-1973م)، المكتبة المصرية الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978م، ص 11.
- (3) محمد مرسى عبد الله، مرجع سابق، ص 24.
- (4) سورة العاديات الآية 3-1.
- (5) سعاد عبد الله الهامور، سيف محمد البداواوي، مجلة وقائع تاريخية، العدد (39)، يوليو 2023م، ص 302.
- (6) عبد الله يوسف الغنيم وآخرون، تجارة الخيل والإبل والماشية في الكويت في القرن التاسع عشر، من خلال دفتر حسابات خالد الخضير (1867-1878م)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت، 2022م، ص 7.
- (7) السجل الكامل لأعمال افونسو دلبوكيرك، ثاني نائب الملك البرتغالي في الهند، مج 2، ج 4-3، (ترجمة)، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، إصدارات المجمع الثقافي، ص 477.
- (8) عبد الله يوسف الغنيم، تجارة الخيول والإبل والماشية في الكويت في القرن التاسع عشر من خلال دفتر حسابات خالد الخضير (1867-1878م)، مركز البحوث والدراسات الكويتية.
- (9) أمير بشير مارديني، أوصاف الخيل العربية الأصيلة وأنسائها، (ب.ت)، (ب.ت)، ص 13.
- (10) يعد من أهم وأقدم موانئ الأحساء وشرق الجزيرة العربية على ساحل الخليج العربي، ونصف تجارة الأحساء تأتي عبر هذا الميناء، انظر راجية إسماعيل أبوزيد، النقل البحري وأثره على مجريات النشاط التجاري في المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبد العزيز (1373-1319هـ/1902-1953م)، مجلة آداب، جامعة دمنهور العدد 50، يناير 2018م، ص 260.
- (11) راجية إسماعيل أبوزيد، مرجع سابق، ص 260.
- (12) اليدي «وينتورث» الجواد العربي الأصيل وسلالته، ثلاثة أصوات تتعلق بخيول الجزيرة العربية، (ترجمة) أدهم وهيب مطر، ج 1، كتاب تحت الطبع، 2024م، ص 265.
- (13) محمد حميد السلطان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج، (1527-1507م)، مركز زايد للتاريخ والتراث، العين الامارات العربية المتحدة، 2000م، ص 118.
- (14) محمد حميد السلطان، مرجع سابق، ص 119.
- (15) الهند الجنوبية: يقصد بها ولايات كارنا تاكا وأندارا برديش وتيلانغانا وتاميل نادو وكيرلا.
- (16) المرزبان تعني رئيس الفرس أو الفارس الشجاع والمرزبان دون الملك في الرتبة. مرزبان الهند:
- (17) نجلاء المطوع، الهندية، إرث شيخ الإسلام جمال الدين الطيبي: جسور التجارة والثقافة بين الخليج العربي والهند.
- (18) المرجع نفسه.
- (19) محمد حميد السلطان، مرجع سابق، ص 121.

- (20) Ali Bahrani Pour , Shahid Chamran University of Ahvaz Ahvaz, Iran, THE TRADE IN HORSES BETWEEN KHORASAN AND INDIA IN THE 13TH - 17TH CENTURIES ,Offprint from The Silk Road 11 (2013AD), The Silk Road is an annual publication of the Silkroad Foundation, p123.
- (21) عبد الفتاح عبادة، سفن الاسطول الإسلامي أنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الفجالة، القاهرة، 1913م، ص 1-6.
- (22) المرجع نفسه، ص 19.2.
- (23) صهيب عالم، لمحات من التاريخ الحديث لتجارة الجزيرة العربية في الهند، مركز الفيسل للبحوث والدراسات الإسلامية، شوال 1444هـ/مايو 2023م، ص 12.
- (24) المرجع نفسه، ص 13.
- (25) فايز بن موسى البدراني الحربي، من أخبار الخيل عند قبيلة حرب، سلسلة دراسات وبحوث أدبية وتاريخية من قبيلة حرب (4)، دار البدراني للنشر والتوزيع، الرياض 1419هـ ص 23.
- (26) عبد الله يوسف الغنيم وآخرون، مرجع سابق، ص 14.
- (27) صبري فالح الحمدي، مصدر سابق، ص 78-79.
- (28) حسين مخيف عبد الحسين الشريفي، إقليم الاحساء دراسة في أوضاعه الداخلية (1871-1913م)، العدد الاول، حزيران 2011م، مجلة مركز بابل، العراق، ص 124.
- (29) نجد الروقي، مومباي.. بلاد العروس التي نقش التجار العرب معالمها، اند بند عربية، الاثنين 1 يناير 2024م.
- (30) عباس باشا الأول: هو عباس باشا حلبي الأول ابن أحمد طوسون باشا حكم مصر بين 1848-1854م وهو حفيد محمد علي باشا، ولد في العام 1813م وتوفي في مصر في 13 يوليو 1854م.
- (31) محمد علي، تربية الخيول العربية، مطبعة مصر، القاهرة، 1935م، ص 7.
- (32) عبد الله المدني، عبد الرحمن المنيع.. أشهر تجار الخيول العرب في الهند، صحيفة البيان الالكترونية، 8 أبريل 2024م.
- (33) صاحب عالم الاعظمي الندوي، الجواد العربي الثقافية، قصة إنشاء اللجنة الدائمة لتجارة الخيول في مدينة كراتشي في عصر الاستعمار البريطاني، بيت العرب، مرتبط الكويت الرسمي، رسالة الجواد العربي، ص 4.
- (34) وثائق من تاريخ الخيول العربية الأصيلة، مركز جمال بن حويرب للدراسات، مدارات ونقوش، دبي، الامارات العربية المتحدة.
- (35) مدارات ونقوش، العدد (12)، مركز جمال بن حويرب للدراسات، الامارات العربية المتحدة، السنة الثانية، فبراير 2019م، ص 11.
- (36) الخيول العربية تاريخ حافل في الجزيرة العربية، ص 17.